العمارة العثمانية في عكا بين أعوام (1600م - 1832م)"
Ottoman architecture in Acre between the years (1600 - 1832 AD)

أ.ممدوح غالب أحمد بري (أبو عبادة)جامعة النجاح الوطنية- فلسطين

ملخص: تعاقب على حكم عكا العديد من ولاة الدولة العثمانية، وأشهرهم حاكم صيدا فخر الدين المعني الثاني (1600م-1635م)، وظاهر العمر الزيداني بين أعوام (1705م-1775م)، واحمد باشا الجزار (1775م-1805م)، وسليمان باشا (1805م-1818م)، وعبد الله باشا (1818م-1832م).

اعتمد ولاة عكا وعمالها في العهد العثماني خلال بناء عمارتها على ما تجود به الطبيعة من حجارة ومواد بناء، وإعادة تدوير بقايا الأبنية والقلاع وأطلال الكنائس والمعابد القديمة الموجود في تلك المنطقة الساحلية، وكان الصليبيون قد جلبوا هذه الحجارة والأعمدة من معابد رومانية قديمة متهالكة في قيصرية وعتليت، ولذلك أضاف هذا المكون المحلي إلى جانب نمط العمارة العثماني خصوصية وروعة البناء، بحيث امتزجت مكونات عدة من بينها الروماني والفرنجي والمحلي والعثماني، وكانت حقاً في غاية في الروعة والجمال.

الكلمات المفتاحية: طرز، نمط، عمارة، عثمانية، مدينة عكا، اهتمام الولاة، خانات، مساجد، اسبلة، قلاع، تكايا، أسواق رخام، رواق، قباب، عقود، عمارة محلية، مقالع الحجارة، مواد البناء.

Abstract: The governors of Acre and its workers adopted the Ottoman era during the construction of its architecture on the nature of the stones and building materials, And recycling the remains of buildings and castles and the ruins of churches and temples in the old coastal area, The Crusaders brought these stones and columns from ancient Roman temples that were dilapidated in Caesarea and were destroyed.

This local component, along with the Ottoman architecture, added the peculiarity and magnificence of the building, So that many components, including the Roman, the French, the local and the Ottoman, , And was really very in magnificence and beauty.

key words: Architecture, architecture, Ottoman, city of Acre, interest of governors, chambers, mosques, castles, castles, tikaya, marble markets, gallery, domes, contracts, local building, quarries, building materials.

مقدمة:

احتوت مدينة عكّا الواقعة في شمال فلسطين على ساحل البحر المتوسط على العديد منّ معالم ومظاهر الفنّ المعماري الإسلامي في العهد العثماني، وبنيت هذه الفنون المعمارية وفق النسق المعماري الدارج في سائر حواضر الدولة العثمانية، وأهمها تلك التي بناها والي عكا العثماني أحمد باشا الملقب بالجزار، وأوقف عليها العديد من عوائد الأوقاف.

وقام الأمير فخر الدين المعني الثاني ببناء قصر له في عكا بعد سيطرته على معظم شمال فلسطين، وسمح للرهبان الفرنسيسكان بإعادة بناء كنيستهم وديرهم، وفي سنة 1618م قام حاكم صفد بأمر من الأمير فخر الدين المعني بتعمير احد أبراج عكا الذي كان مأوى للصوص.

وحينما حكم ظاهر العمر المدينة عام 1744م حصنها بسور، وحينها تحولت عكا من قرية صغيرة إلى مدينة مركزية، وحصنها بسور وأبراج عام 1750م، ليحميها من هجمات البدو، واحتوى السور على بوابتان: إحداهما هي بوابة السرايا، والثانية هي بوابة السباع، وبنى في الشمال الغربي من المدينة قصره الحصين بأنقاض القلعة الصليبية القديمة، وحفر حوله قناة، وبنى مسجد الرمل في وسط المدينة، وأنشأ في ميناء عكا مخزن للبضائع ورصيفاً جديداً، وأقام سوقاً كبيراً (السوق الأبيض).

وتولى احمد باشا الجزار ولاية صيدا، وحصل على ولاية دمشق بشكل متقطع ما بين 1775م، وحتى وفاته عام 1805م، وسيطر على القوى المحلية في جبل لبنان وساحل فلسطين، وجبال فلسطين الشمالية والوسطى، وفاق نفوذه وتوسع الجغرافي المساحة التي سيطر عليها ظاهر العمر الزيداني.

وبني الجزار سوراً عريضاً لعكا، وبني فيها سوقاً كبيراً، وخان مسقوف، وحصن المدينة، وأقام فيها قلعة ضمت في داخلها قصراً له، بالإضافة إلى إقامة ثكنة عسكرية لجنوده، وقد تطور الميناء في عهده على حساب ميناء صيدا.

شملت هذه الأبنية العريقة طيف واسع، وشمل منشآت دينية وتعليمية وحياتية، وأهمها مسجد الجزار وما شمله من مآذن وقباب وزوايا وأروقة، ومدرسة ومكتبة وغرف مبيت طلاب العلم، وسبيل للمياه وغرفة طعام ومزولة وآبار مياه وبرك، وتسمى بخان الجزار (خان العمدان)، والمنشآت العسكرية مثل السجن (القلعة) والأسوار.

يعتبر مسجد الجزار (الجامع الكبير) أعظم مسجد في شمال فلسطين على الإطلاق بسبب حجمه، والفن المعماري الإسلامي الذي يبرز معالمه، وأعاد الجزار بناء وتوسيع ميناء عكا، وبناء كاسر الأمواج للرسوّ وللأمن في الميناء، وبنى أحمد باشا الجزار "حمّام الباشا" في نهاية القرن الثامن عشر، وحيث يُمكن أن نعدّ من بين صنائعه بناء قناة المياه التي نقلت مياه الينابيع إلى المدينة، وقصره الفخم.

وكانت المنشآت والمباني بمثابة تحف معمارية تزين مدينة عكا وساحلها الجميل، وتشاهدها في البحر من على بعد عشرين كلم، سيما مئذنة جامع الجزار.

بعد وفاة الجزار سنة 1805م تسلم سليمان باشا الولاية بعده حتى سنة 1818م، وقد قام هذا الوالي الذي لقب بالعادل بترميم أسوار عكا، ولهذا الغرض جلبت الحجارة الضخمة من خرائب القلعة الصليبية في عتليت، وبنى سليمان باشا مسجد الميناء، ويسمى أيضاً جامع البحر، وأقيم هذا المسجد سنة 1806م في نفس موقع مسجد سنان باشا القديم.

كما رمم سليمان باشا السوق الأبيض على أثر احتراقه، وبنى قناة ماء جديدة من الكابري إلى عكا، بعد أن أصيبت قناة الجزار بتلف شديد أثناء حصار نابليون، وأمر بإقامة بستان الست فاطمة سنة 1816م، وكما أنشأ سبيلاً أمام بوابة عكا دمر أثناء حصار والي دمشق درويش باشا للمدينة، وفي عهده تم إنشاء خان الحمير الذي دُمر لاحقاً وأزيلت بقاياه في شمال شرق المدينة.

وأصلح سليمان باشا طريق النواقير الوعرة عند رأس الناقورة، وهكذا فإن فترة حكم سليمان باشا تميزت بأعمال البناء في عكا والبلاد التابعة لها.

تسلم عبد الله باشا بن علي باشا ولاية عكا بعد وفاة سليمان سنة 1818م، ولم تتميز هذه الفترة بأعمال الإعمار الهامة، باستثناء بناء عبد الله باشا لقصره في عكا.

واسهم موقع عكا الجغرافي في تميزها السياسي والعسكري والاقتصادي، وجعلها بمثابة عاصمة فلسطين خلال تلك الفترة العثمانية، ويتبعها جبل لبنان وأجزاء واسعة من جنوب وغرب سوريا، وشمال غرب الأردن، ووفر لها عائدات اقتصادية كبيرة، نتيجة النمط الإداري والعسكري الرصين الذي مارسه ولاة عكا، سيما ظاهر العمر الزيداني واحد باشا الجزار.

وارتبطت مدينة عكا خلال تلك الفترة بسوق التجارة العالمية، سيما بعد توثيق ولاتها علاقاتهم بتجار وحكام بعض المدن الفرنسية والايطالية، وأتاحت لهم هذه المناخات هامش من الرخاء المادي، وتشكيل جيش أو قوة عسكرية ضاربة، وبناء العديد من المنشآت المعمارية، ومكنهم من إخضاع القبائل والزعامات المحلية في تلك المناطق.

مشكلة الدراسة:

يعالج البحث عدد من المشاكل التي ترتبط بجهل عام حول الكنوز المعمارية التي تحتويها مدينة عكا، وحول أهميتها ودورها التاريخي، وغياب دراسات مختصة في موضوع الموروث المعماري لمدينة عكا في الفترة العثمانية الأولى.

ويحدد البحث طراز العمارة في عكا، ويفصل بين تداخل أنماطها، سيما العربي المحلي والبيزنطي والإسلامي والفرنجي والعثماني، ويندرج تحت هذه الأنماط مواد البناء ومصادرها ومراحل بناء تلك المنشآت، ويميز الباحث بين العمارة الحربية والخيرية والدينية والتجارية والحكومية، ويميز أسباب إزدهار تلك العمارة في الفترة الممتدة بين أعوام 1600-1832م، بينما ترجعت قبل ذلك التاريخ وبعده، ويبحث في أسباب تفاوت إزدهار العمارة العثمانية في ذات الفترة بين مجمل من حكمها من ولاة.

تعتمد الدراسة على مجموعة من الأسئلة الرئيسية، وتقدم إجابات حولها، وتسهم في نضوج فكرة هذا البحث، وتتمثل بالأسئلة الآتية:

-ما هي أهم الكنوز المعمارية التي بناها ولاة مدينة عكا بين أعوام (1600م - 1832م)؟

-من هم ولاة مدينة عكا في العهد العثماني بين أعوام (1600م - 1832م)؟

-هل تميزت مدينة عكا بنمط عمارتها في تلك الفترة، ولماذا؟

-لماذا شهدت الفترة الواقعة بين أعوام (1600م - 1832م) نهضة عمرانية كبيرة؟

فرضيات الدراسة:

شهدت مدينة عكا نهضة عمرانية بين أعوام (1600م - 1832م)، نتيجة حالة الأمن والرخاء الاقتصادي في حينه.

وأنها احتوت كنوز معمارية في غاية الروعة والجمال، وهي امتداد لنمط البناء العثماني السائد في سائر أرجاء الدولة العثماني، إلى جانب تأثرها بثقافة البناء المحلية، وثقافة وطراز الأمم التي تعاقبت عليها.

وأن موقعها الجغرافي وظرفها السياسي من بين العوامل التي أسهمت في هذه النهضة العمرانية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق مجموعة من النتائج والإجابة، ونختزل أهداف الدراسة في الآتي:

- البحث في أهم الانجازات المعمارية التي أوجدها ولاة عكا في العهد العثماني.
- التعرف على هذه الكنوز المعمارية.
- وصف طراز البناء المعماري، وعلاقته بالبيئة المحلية، ومواد البناء، وثقافة المجتمع وولاته.

- توضيح أسباب الازدهار المعماري الذي شهدته عكا بين أعوام (1600م - 1832م).

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

- تسلط الضوء على الموروث المعماري لمدينة فلسطينية محتلة تعايش في كل يوم مشهد من مشاهد التهويد الصهيوني لمبانيها وأزقتها ومعالم حضارتها.
- تبحث في القواسم المشتركة بين الفن المعماري العثماني والعربي والبيزنطي والفرنجي في ذات المدينة.
- تقدم دراسة علمية مختصة حول الانجازات المعمارية لولاة عكا بين أعوام (1600م - 1832م).
- تبحث في مناخات الحكم وطبيعة الزعامات التي حكمت منطقة الجليل الفلسطيني، بما في ذلك عاصمته عكا.
- تسلط الضوء على العلاقة بين الساحل والجبل، لا سيما أثناء بناء وشائج التبادل التجاري، وانعكاس ذلك على حالة الأمن وازدهار الاقتصاد.
- تبين المناخات التي جعلت عكا عاصمة مركزية في الجليل والساحل الفلسطين أثناء تلك الفترة.
- تبين الدراسة العلاقة بين الأمن وازدهار الاقتصادي من طرف ونمو المعمار من طرف آخر.

منهج الدراسة: اعتمد الباحث على منهج البحث العلمي في الدراسات التاريخية أثناء سرد انجازات ولاة عكا في العهد العثماني، ووصف أهم انجازاتهم المعمارية، وقارنها، وتحليل الأسباب الكامنة وراء الازدهار المعماري الذي شهدته مدينة عكا في تلك الفترة.

حدود الدراسة:

الحدود الزمانيـة: تقتصر هذه الدراسة على فترة ولاة عكا في العهد العثماني بين أعوام (1600م - 1832م).

الحدود المكانية: تقتصر على دراسة الكنوز المعمارية في داخل مدينة عكا.

أولاً: ولاة عكا العثمانيون وكنوزها المعمارية: (دراسة مقارنة)

امتازت العمارة العثمانية بالهندسة والتصميم المعماري المُميّز، وظهر هذا النمط، (الطراز) في مدينتي بورصة وأدرنة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، في شمال غرب تركيا الحالية، وطورت الدولة العثمانية من العمارة السلجوقية السابقةِ، وتأثّرتْ بالعمارة الإيرانية، وإلى أكبر مدى تأثرت بالهندسة العمارة البيزنطية في الأناضول الغربي والجزء الأوروبي من تركيا الحالية، بالإضافة إلى تقاليد المماليك في الشام ومصر وعموم الشرق العربي، واستمر العثمانيين في الشرق العربي قرابة 500 سنة، مما أسهم في صقل أنماط الثقافة والمعمار العربي بالفنون العثمانية، سيما الحواضر الرئيسية ومجتمعات شرق وجنوب المتوسط.

وأُخذت الأعمال البيزنطيةِ المعمارية مثل كنيسة آية صوفيا باعتبارها نماذج للعديد من المساجد العُثمانية، ووصفت الهندسة المعمارية العُثمانية بمثابة تجانس يشتمل على التقاليد المعمارية للبحر الأبيض المتوسط والمشرق العربي والبلقان والأناضول، ووصف معمار تلك البلاد بالعثماني.

تُعد العمارة العثمانية قريبة جداً من العمارة التقليديّة في فلسطين، وبدأت تنتشر في فلسطين منذ سيطرة العثمانيين على المنطقة بعد1517م، وبقيت حتّى بداية الانتداب البريطاني في العام 1917م، حيث استُخدمت الحجارة والجدران السميكة والأقواس في الأبواب والشبابيك، القباب، وأضيف إليها العقود منذ الحملة الصليبية.

رغم كون هذه العمارة ذات نمط عثماني، إلّا أنّها تضمنت صبغة محليّة، بينما بنيت المباني العثمانية الحكوميّة بإشراف مهندسين أتراك ووفقًا لمخطّطاتهم، فإن المباني المدنيّة هي من

إشراف معماريين محليّين، وكان البناء العثماني بمثابة بناءاً حداثياً تأثّر بالنمط الأناضولي والروملي، إلا أنه احتفظ بمؤثرات بيئة شرق حوض المتوسط التي كان يتركها البناء المحلي.

كثيرة هي الحواضر العربية التي تأثرت بنمط العمارة العثمانية، ومن بينها مدينة عكا، تلك المدينة الفلسطينية الساحلية التي تقع في شمال فلسطين وتشرف على ساحل البحر المتوسط، (مروان عبد القادر بكير، 2004، ص17) وكانت في حينه محطة لانطلاق التجارة إلى الغرب الأوروبي، وكانت تربط شمال فلسطين والجولان وأواسط بلاد الشام بالغرب الأوروبي عبر ميناء عكا البحري، وتتبع لها نواحي عدة، وسهول زراعية شاسعة، مما جعلها أهم مركز تجاري على ساحل المتوسط في حينه(أسامة أبو نحل، 2005، ص7. عبد الكريم رافق، 2016، ص829-831).

لم تحتل مدينة عكا، تلك الميزة الكبيرة في عهد فخر الدين المعني الثاني، ولم يترك فيها الأثر الكبير، وانتعشت حينما تولي ظاهر العمر الزيداني حكم منطقة الجليل الفلسطيني، وتوسعت حينما تولاها أحمد باشا الجزار(أسامة أبو نحل، 2005، ص7. عبد الكريم رافق، 2016، ص829-831).

وامتد الانتعاش الاقتصادي الذي شهدته تلك المنطقة بين أعوام 1600م-1832م، وهي الفترة التي سبقت الحملة المصرية على بلاد الشام، التي قادها إبراهيم باشا في عهد والده محمد علي باشا، واخترنا هذه المرحلة، لأنها تمثل فترة أو عهد مختلف، له خصوصيته التاريخية والسياسية والاقتصادية(عبد الكريم رافق، 2016، ص829-831).

تولى حكم عكا خلال فترة ازدهارها في العهد العثماني الأوسط عدد من الولاة، ولكل منهم دوره في تعزيز مكانة مدينة عكا، رغم تفاوت أدوارهم إلا أن لكل منهم طريقته وأسلوبه في جعل عكا مركز تجارب وتحفة معمارية، ولربما اعتبرها البعض أول عاصمة لفلسطين في التاريخ الحديث.

1. فخر الدين المعني الثاني (1600م-1635م)

لم يتخذ المعني من الجليل أو مدينة عكا مركزاً لحكمه، بل اهتم بشكل مباشر في المدن التي تقع اليوم ضمن جنوب لبنان، وكان تأثيره العمراني على مدينة عكا بسيط نسبياً، سيما عند مقارنته بغيره من ولاة عكا والجليل، ومجمل اهتماماته كانت في مجال العمارة الدينية المسيحية في عكا، حيث تم اعادة تعمير وبناء عدد من الكنائس لطوائف مسيحية متعددة.

وصفت فترة حكم والي صيدا وعكا فخر الدين المعني الثاني (1600م-1635م) بأنها بمثابة عهد التسامح الديني لدى عموم نصارى المشرق، ولطالما امتدح هذا الرجل من قبل دهاقنة الإستشراق ومراكز الأبحاث الغربية التي تهتم بتاريخ المنطقة العربية (قسطنطين بازيلي، 2016، ص50-60).

لن تجد لهذا الوالي انجازات معمارية في عكا على صعيد عمارة الأسبلة والتكايا والخانات والمساجد وقنوات الماء والبازارات أو توسعة وترميم الأسوار والميناء سيما في مدينة عكا، سوى إعادة افتتاح ثلاث كنائس كانت قد تهالكت منذ الغزو الإفرنجي (1095م-1291م) كونها أخر مدينة فلسطينية انسحب منها الإفرنج عام 1291م، بمعنى أن تلك الكنائس كانت قد أصبحت خراباً وتهالكت منذ ما يقرب على 300 عام تقريباً، وهي كنيسة الفرانسيسكان (القدّيس فرانشسكو) وكنيسة المارونية وكنيسة يونانية أرثوذكسية (قسطنطين بازيلي، 2016، ص50-60).

وتمتع هذا الوالي بعلاقات مميزة مع رجال السياسة وتجار طليان وفرنساويين، واستطاع أن يحقق ثروة كبيرة عبر تجارته مع هذه الدول، وعبر احتكار تجارة الفلاحة في الشمال الفلسطيني، مما أدى إلى امتلاكه الأموال من التجارة وعائدات الضرائب، واسهم ذلك في دفعه نحو تشكيل

جيش من المرتزقة، وقام بتمرد فاشل أدى إلى مقتله عبر حملة عسكرية عثمانية، مهد لها والي دمشق والأسطول العثماني في البحر المتوسط (دونالد كواترت، 2004، ص234-236).

كنيسة سان جورج:

وهي كنيسة يونانية أرثوذكسية، وهي أول مكان صلاة مسيحيّ أنشئ في عكّا أيام الأتراك العثمانيين.

الكنيسة المارونية: تقع الكنيسة المارونية في المِنطقة الجنوبية الغربية من عكّا، وتنسب الكنيسة إلى الموارنة (يعود أصلهم إلى الشعب الآراميّ العربي)، طُردوا من عكّا في أعقاب الحملات الإفرنجية (الصليبية) نتيجة اختلاف العقيدة مع الكاثوليك، وأعادهم إليها حاكم الجليل فخر الدين المعني الثاني عام 1666م في العهد العثماني، وسمح بترميم كنيستهم التي سُمّيت في حينها، "سانت نيكولاس"، وفق الصلاحيات الغير مركزية التي منحتها الدولة العثمانية لولاتها في الأقاليم العربية.

كنيسة القدّيس فرانشسكو (فرانشسكنيت): (أنظر الصورة رقم (1)، صفحة ملحق الصور): تنبع أهمّية عكّا بالنسبة إلى الفرانسيسكان من أنّهم يؤمنون بأنّ فرانتشسكو دي أسيزي Francesco) (d'Assisi، مؤسّس رهبنتهم، قد زارها خلال السنتين 1219-1220م خلال الحروب الإفرنجية (الصليبية)، وأنشأ فيها الراهب إيليا دي كورتونا (Elia Da Cortona) دير الفرانسيسكان الأول في البلاد عام 1217، وعند سقوط عكّا في أيدي المماليك عام 1291م، وتحرير فلسطين من الإفرنج فرّ منها أهل الدير.

وتؤكد الوقائع التاريخية المعتمَدة لدى الفرانسيسكان، أن فخر الدين الثاني أتاح لهم عام 1620م بصورة رسمية الإقامة في عكّا، وإنشاء كنيسة ونُزُل، وذلك في العهد العثماني، وسُمّيت الكنيسة باسم يوحنّا المعمدان عام 1683م.

جامع الرمل: يعد أقدم مساجد المدينة، شيد في عام 1704م.

2. وظاهر العمر الزيداني بين أعوام (1705م-1775م)

ينتمي ظاهر العمر الزيداني إلى عائلة عربية قدمت من الحجاز، واستقرت في الجليل الأسفل، وكان مركزها طبريا، وتولى أبناؤها مهام الالتزام وجباة وزعامات محلية في أرجاء الدولة العثمانية، وانتقلت لتستقر في عرابة البطوف مركز الجليل الأسفل، وتمكن إحدى أفرادها وهو ظاهر العمر من الحصول على موافقة السلطان ليتولى حكم عكا والجليل(عبود الصايغ، 1999، ص34-37).

اعتمد ظاهر العمر في مصادره المالية على الزراعة والتجارة بهدف تدعيم مركزه، سيما احتكار زراعة القطن، مما وفر له عائدات طائلة، وأسهمت هذه السياسة في إرهاق الفلاح الفلسطيني في تلك المناطق، ونسج الزيداني علاقات تجارية مميزة مع تجار فرنسا، مقابل بيعهم القطن وبعض المنتجات الزراعية، حيث لقيت تلك السلع رواج في أسواق أوروبا(دونالد كواترت، 2004 ص197-198. عبد الكريم رافق، 2016، ص825-830 . عبود الصباغ، 1999، ص35).

لم يكتفي ظاهر العمر الزيداني بتولي حكم عكا والجليل، بل توجه نحو التوسع، وحاول الامتناع عن دفع الضرائب للدولة العثمانية، وتوسع في أجزاء واسعة من فلسطين، ووصل نفوذه إلى جنين ونابلس والأغوار على حساب زعامات محلية، مما اغضب الدولة العثمانية، وخشيت من تفاقم قوته ونفوذه (دونالد كواترت، 2004 ص197-198، عبد الكريم رافق، 2016، ص829-830).

ونقل ظاهر العمر مركزه من عرابة إلى عكا منذ أربعينيات القرن الثامن عشر، واتخذها عاصمة له، واستغل عائدات الضرائب وأموال تجارته الاحتكارية مع فرنسا في مجال القطن في

إنشاء أسوار وترميم مباني حكومية وإنشاء القلاع، وتشبيك المناطق الريفية بالمناطق المدنية، واتخذ من مدينة عكا أشبه بعاصمة أولى لفلسطين في حينه، ويعتبره البعض بأنه صاحب أول محلولة لتأسيس كيان فلسطيني مستقل في العصر الحديث (دونالد كواترت، 2004 ص197-198، عبد الكريم رافق، 2016، ص825-830).

اهتم ظاهر العمر بعرابة البطوف وطبريا والناصرة، وكانت عينه على عكا، ، واستغل موت سليمان باشا العظم والي دمشق، وسيطر على عكا بسهولة، واتخذها مركزاً له حينما سيطر عليها، وعمل على أعمار عكا وتحصينها، واستفاد من أطلال الحجارة والخرب المنتشرة في محيط المدينة، فشيد الخانات والمنشآت والأسوار والميناء، وبنى فيها كنائس (دونالد كواترت، 2004 ص197-198، عبد الكريم رافق، 2016، ص829-830).

وبلغ عدد سكانها 20 ألف نسمة، لتصبح ثالث مدينة فلسطينية من حيث عدد بعد القدس ويافا، وذلك نتيجة موقعها الساحلي، وكونها الأهم في فلسطين، وشملت عكا على العديد من المباني منذ عهد ظاهر العمر الزيداني، وتشمل: (دونالد كواترت، 2004 ص197-198، عبد الكريم رافق، 2016، ص825-830).

خان الشاه واردة: (انظر الصورة رقم (2): صفحة ملحق الصور)

قام ظاهر العمر بإنشاء خان الشواردة (خان التجّار) في القرن الـ 18م، يتكون الخان من ساحة مربّعة محاطة بالدِّعامات (العمدان)، يوجد في وسطها بقايا حوض ماء لسقي البهائم و"سبيل" (سُقاية)، يعتبر القسم الشرقيّ من الخان جزء من أسوار عكّا باتجاه خليج عكّا، ومحاط الخان بدكاكين من طبقة واحدة، وهو قائم قريبًا من بوابة البرّ (قسطنطين بازيلي، 2016، ص70-72).

واستُخدم كسوق بالجملة، ومحلاتّ لحوانيت أصحاب الحرف، يدمج الخان في زاويته الجنوبية الشرقية ببرجاً قديماً، بُني هذا البرج في الحِقبة الصليبية ويُسمى، اليوم، برج السلطان، ويُخمن أن المكان الذي بُني فيه الخان كان في حِقبة الاحتلال الصليبي (الإفرنج) ديراً للأخوات الإكليريكيّات.

خان الشونة: (انظر الصورة رقم (3): صفحة ملحق الصور)**:** قام ظاهر العمر بتجديد النُزُل وإصلاحه، ويقع على بعد 30 متراً، شِمال غرب خان العمدان، ولا يزال قائماً باعتباره أقدم نُزُل في عكّا – خان الشونة (نُزُل صومعات محاصيل الحبوب)، وكانت أجزاء معتبَرة من النزل، وخصوصاً في الطبقة الأرضية بمثابة أجزاء من الحِقبات التاريخية السابقة (عبد الكريم رافق، 2016، 825-830).

يشبه خان "كورشونلو" في محافظة "كاستامونو" بتركيا الذي يعود بناءه إلى 600 عام مضت في العهد العثماني.

خان الإفرنج: (انظر الصورة رقم (4): صفحة ملحق الصور)**:** يقع خان التجّار بجانب الميناء مباشرة، ويحتوي على طبقتين، وساحة مركزية، وتم بناء الخان على أنقاض خان تجّار شبيه كان قائماً في المكان في حِقبة الاحتلال الصليبي، ويطلق عليه – خان البندقيّين (نسبة إلى مدينة البندقية الإيطالية)(عبود الصباغ، 1999، ص35).

وبُني خان الإفرنج الحاليّ في بداية القرن الـ 18م، وأطلق عليه في حينه اسم خان الفرنكات، واستخدمه مندوبو التجّار الأجانب الذين تاجروا مع ولاة عكا للإقامة، ومنهم تجّار إيطاليّون، فرنسيّون، هولنديّون، وإنجليز، ويشمل القسم الشّماليّ من الخان في يومنا الحالي على كنيسة ومدارس تتبع رهبنة الفرنسيسكان.

ميناء عكا: (انظر الصورة رقم (5): صفحة ملحق الصور)

قام الوالي ظاهر العمر الزيداني في نهاية القرن الـ 17م بتوسعة الميناء، وجعلهُ قادراً على تمكين السفن الشراعية من الرسوّ فيه وتحميل وتنزيل البضائع، ضمن إطار توجهاته الرامية إلى تطوير التجارة البحرية مع العالم الاوروبي.

جامع الزيتونة: (انظر الصورة رقم (6): صفحة ملحق الصور)

وبني مسجد الزيتونة في عهد ظاهر العمر عام 1748م، يقع إلى الجنوب من زاوية الشاذلية، إلى الجنوب من حيّ الهوسبيتلريين، ويرتبط اسم المسجد بأشجار زيتون كانت مغروسة في ساحته.

وقد بناه الحاجّ محمد الصادقيّ، وخصص له الوقف المتصل به، وأشرفت عائلة الشيخ نور الصادقيّ على إدارة وقف المسجد منذ البداية، وانتقلت الإدارة إلى عائلة عرابي خلال السنوات (1898-1905م).

مسجد ظاهر العمر: (انظر الصورة رقم (7): صفحة ملحق الصور): بني هذا المسجد في عهد ظاهر العمر، وقام الشيخ سهيل المتوفي عام 1748م بناء المسجد المعلّق، الذي عرف بـ"مسجد ظاهر العمر"، حيث يقع المسجد إلى الشّمال من خان العمدان.

كنيسة سانت أندرياس: ظهر توجه منذ بداية القرن الـ 18م لدى النصارى الأرثوذكس في بلدان المشرق (بما فيها عكا) نحو الميل إلى تقبّل سلطة بابا الڤاتيكان الدينية، وعلى خلفية ذلك بدأت تتبلور في عكّا طائفة يونانية كاثوليكية.

استقرت هذه الطائفة في القسم الجنوبيّ الغربيّ من المدينة، وسمح لها ببناء كنيستها على أنقاض كنيسة سانت أندراوس من الحِقبة الصليبية.

أسوار البحر الجنوبية: (انظر الصورة رقم (20): صفحة ملحق الصور): أنشأ هذه الأسوار بصورتها الحالية ظاهر العمر عام 1750م، بهدف حفظ المدينة من الأعداء، وتعزيز النشاط المدني والإنساني في عكّا خلال الحِقبة العثمانية. وتعرّضت الأسوار لضرر بالغ في أثناء الحصار البحريّ الذي تعرضت له خلال حملة الوالي المصري محمد علي باشا، وأحكم محمد علي قبضته على عكّا بين أعوام (1832م-1840م) (مروان أبو خلف، 2001، ص172).

السور البحريّ (الغربيّ) و السور الشرقيّ: دشنه الوالي ظاهر العمر عام 1750م، وتضرّر السور كثيراً في أثناء حصار نابليون بونابرت لعكّا عام 1799م، سيما تلك الأجزاء المشرفة على اليابسة، وأيضاً في أثناء الحصار البحريّ الذي قام به والي مصر محمّد علي، وبعد هذا الحصار تمّ ترميم السور مجدداً (أسامة أبو النحل، 2005، ص5-8. مروان أبو خلف، 2001، ص172).

كنيسة سانت جون (فرانشسكنيت): (انظر الصورة رقم (8): صفحة ملحق الصور): تقع بجانب فنار عكّا، وهي كنيسة حديثة نسبياً، وتتبع طائفة اللاتين (الفرانسيسكان)، وعُثر مؤخراً على شعار محفور في الجدار الشّماليّ من المبنى، ويؤكد أن تاريخ بناء الكنيسة يعود لسنة 1737م، وهي بمثابة الكنيسة الوحيدة لطائفة اللاتين – الكاثوليك في عكّا.

الحمام الشعبي: عبارة عن بناء يقع قرب خان الشونة، بناه ظاهر العمر في 1735م، وأقفل في 1962م (دونالد كواترت، 2004، ص284-285).

3. احمد باشا الجزار (1775م-1805م)

تميزت فترة والي عكا أحمد باشا الجزار ببناء العديد من مبانيها، وتمزيت بكثرتها وتوعها، وشملت المباني الخيرية مثل الأسبلة والتكايا، والمباني الحكومية مثل السرايا والسجن، والمباني العسكرية وشملت إعادة ترميم الأسوار والميناء، والمباني الدينية مثل المساجد والزوايا، والمباني الاقتصادية مثل الأسواق أو البازارات.

يعد الجزار أول والي كان ينحدر من أصول غير عربية حكم مدينة عكا، ويمثل طراز جديد في الإدارة العثمانية، مما إنعكس عن طبيعة طراز العمارة في عكا خلال عهده.

أحمد باشا الجزار(1734م-1804م)، وكان يناديه ضباطه الكبار بأحمد البوشناقي (أصوله من البوسنة والهرسك الآن)، تولى حكم ساحل فلسطين والشام أكثر من 30 عاما، ولولا وفاته لتولى حكم مصر قبل محمد علي باشا الذي حكم مصر بين أعوام (1805م- 1848م) (دونالد كواترت، 2004، ص197-198. عبد الكريم رافق، 2016، ص825-8281).

يعتبر عهد احمد باشا الجزار إحدى العهود المزدهرة التي عايشتها مدينة عكا خلال الحِقبة العثمانية، وتحولت عكا في عهده من قرية صيّادين صغيرة إلى مدينة ميناء، تُعايش حركة نشِطة وصاخبة من التجارة والبناء، تفوق العهود السابقة، واتسع حجمها وازداد تعداد سكانها وتطورت حركتها التجارية (دونالد كواترت، 2004، ص197-198 . عبد الكريم رافق، 2016، ص820-824).

وعَمِل الجزّار منذ بداية حكمه على تطوير المدينة في مجالات كثيرة ومتنوعة، يُمكن أن نعدّ من بين انجازاته بناء قناة المياه التي نقلت مياه الينابيع إلى المدينة، وبناء كاسر الأمواج للرسوّ الآمن في ميناء عكا، وإنشاء مبانٍ مهمّة، ومن ضمنها خان العمدان، والجامع الكبير في عكّا، وقصره الفخم، والحمّام(عبد الكريم رافق، 2016، ص820-824).

وصفت هذه الأبنية والانجازات المعمارية بأنها الأقرب إلى نمط العمارة العثمانية، وتفوق على سابقيه في كثافة هذه الأبنية، وطراز عمارتها العثمانية، ولم يكتفي باختصار الطراز العثماني بتلك المباني الحكومية ذات الطابع الرسمي، بل توسع ليشمل العمارة الدينية والخدماتية، وكان يهدف الى مضاهاة غيره من سلاطين وحكام الدولة العثمانية، وكان لديه شغف بحب العمارة الدينية والخيرية والعسكرية، وكان يشرف بنفسه على المخططات وسير العمل، مما جعل من عمارة عكا لا يوجد لها مثيل لدى باقي مدن فلسطين (أسامة أبو النحل، 2005، ص15-16).

أسهمت أصول وتوجهات احمد باشا الجزار في تعزيز عامل الاهتمام بالطراز المعماري العثماني، كونه من منطقة البلقان، مما أضاف صبغة أوروبية على الطراز العثماني في عمارة عكا القديمة إلى جانب ولاءه المطلق لدولته، الذي دفعه نحو ضبط الموارد واستغلالها بشكل جيد، وإنفاقها في مجال تطوير المدينة.

لم يحمل نزعة تمرد أو استقلال، وفي عهده أخمدت حركات التمرد وصراعات الزعامات، وأتاحت له فترة حكمه الطويلة والمستقرة التي بلغت 30 عاماً المجال لكي ينجز مشاريعه المعمارية.

جامع الجزّار: (انظر الصورة رقم (18 أ+ب): صفحة ملحق الصور . دونالد كواترت، 2004، ص197-198): يعتبر المسجد الرئيسيّ في عكّا، وبناه احمد باشا الجزّار (البشناقي) عام 1775م، ويعد أحد أهم المساجد الرئيسية والجميلة في البلاد، ويقع وسط ساحة مترامية الأطراف، وحولها عشرات غرف التعليم التي ضمّت المدرسة الأحمدية (مدرسة عليا لتعليم الدين)، ويوجد في الساحة ساعة شمسية قديمة "مزولة"، والميضأة، وضريح أحمد الجزّار ووريثه، والبركة التي جلب إليها الماء من نبع الكابري، وتم بناء الجامع فوق مجمّع كبير للمياه (والمجمع غير مفتوح أمام الزوّار) (أسامة أبو النحل، 2005، ص15-16 . مروان أبو خلف، 2001، ص30-31 . محمد علي الكحلوت، دس ، ص40-45).

كان الجزار هو مصمم مسجد الجزار ومهندسه وفق الطراز العثماني البلقاني، وقد جلب الخبراء في العمارة العثمانية من جزيرة قبرص وولاية اليونان اليونان العثمانية في حينه، وهي عائلة يني الساكنة اليوم في بلدة كفر ياسيف، تم بناء مسجد الجزار وفق الطرز العثماني بالكامل، وترجع أهمية جامع الجزار إلى موقعه ومكانته في نفوس المسلمين، ومساحته الهائلة، وارتفاع قبته، فلم يكن المعماريون يعرفون آنذاك الإسمنت المسلّح بالحديد أو الدعامات المعدنية، وكان من الصعب إقامة أبنية واسعة، لتعذر بناء السقوف الواسعة، فاحتال المهندسون على ذلك ببناء

الأقواس وحجر الغلق الذي يقفل القوس من الأعلى، وهو طراز أناضولي، مما جعله صامداً ضد عوامل الزمن (عبد الكريم رافق، 2016، ص820-824. محمد علي الكحلوت، 2010، ص40-45).

أما باقي المسجد، فاعتمد على أربع زوايا، يبلغ البعد بين كل اثنتين 17 متراً بما فيها الأروقة الجانبية، ويتخلل كل واجهة سبع نوافذ، يبلغ عرض النافذة الواحدة 32 سم، ويبلغ ارتفاعها 204سم، ويبلغ سُمك جدارها 112سم، ويوجد فوق النوافذ شريط بارز مكتوب بالحروف من الرخام الأبيض(عبد الكريم رافق، 2016، ص820- 824. محمد علي الكحلوت، 2010، ص40-45).

يتضمن الرواق الشمالي في المسجد على سبعة أعمدة من الغرانيت، جلبت من أطلال قرب صور وقيسارية، ويحتوي الرواق الشرقي على سبع نوافذ مزخرفة، مكسوّة بالرخام متعدد الألوان، وفيه خمسة أعمدة فقط، ويعد الرواق الغربي متشابه مع الرواق الشرقي، وتقوم فوق كل رواق سِدّة، يبلغ طولها طول الرواق، وأمام كل سدة يوجد درابزين يرتكز على أعمدة صغيرة من الرخام، يضفي على منظرها من قاعة المسجد رونقًا وجمالاً لا نظير له (مروان أبو خلف، 2001، ص30-31. محمد علي الكحلوت، 2010، ص40-45).

تقع المئذنة في الركن الشمالي الغربي من الجامع، وفيها درج لولبيّ قوامه اثنتان وسبعون درجة، وبعض النوافذ الصغيرة للإنارة والتهوية، وأما القبة أعظم ما في هذا المسجد، فهي كروية الشكل، يبلغ قطرها عشرة أمتار، تكسوها ألواح من الرصاص من الخارج لمنع تسرّب الرطوبة إليها(محمد علي الكحلوت، 2010، ص40-46).

يشبه مسجد سنان باشا يقع في مدينة بريزرن جنوب كوسوفو، ويرجح بناؤه سنة 1615 ميلادياً، وكذلك يشبه مسجد مدينة سراييفو، تلك المدينة التي تُلقب بقدس أوروبا، وهو جامع خسرو بك العثماني من القرن السادس عشر.

خان العمدان: (انظر الصورة رقم (9): صفحة ملحق الصور): بناه احمد باشا الجزار (البشناقي) عام 1784م، ويستند الخان بواسطة سلسلة من أعمدة الصوّان "الغرانيت"، وكان قد تمّ جلبها من بقايا أطلال رومانية قريبة من المِنطقة ومن قيسارية، (مروان أبو خلف، 2001، ص95-96) على غرار الخانات الموجودة في تركيا (أسامة أبو النحل، 2005، ص15-16).

يعتبر خان للتجارة، وهو كبير الحجم، وقريب من الميناء، واستُخدم للتجارة الدولية، كان يقوم التجّار الذين وصلوا إلى الميناء بتفريغ بضائعهم في مخازن الخان، سيما في الطبقة الأولى منه، التي تضمّ دار الجمرك (المَكس) التي تتبع الميناء، ويضم الخان مخازن لاستخدام التجّار، ويوجد فيه غرف لسكن التجار سيما في الطبقة الثانية التي كانت عبارة عن فندق خاصّ (عبد الكريم رافق، 2016، ص820-824).

تم بناء الخان على بقايا خان قديم متهالك منذ الاحتلال الإفرنجي، ويُشتقّ اسم الخان من صفّ الأعمدة حول الساحة المفتوحة، وأغلبها أعمدة من الصوّان ثانوية الاستعمال، وتمّ جلبها من أطلال مواقع أثرية في قيساريّة، وأُدمِج عام 1906م في الجهة الشمالية من الخان برج الساعة الذي بناه السلطان العثماني عبد الحميد باشا (عبد الكريم رافق، 2016، ص820-824).

السرايا: (انظر الصورة رقم (10): صفحة ملحق الصور)**:** السرايا، وهي بمثابة قصر الحكم بالتركية، واتخذها الجزار بمثابة مبنى الحكم التركيّ في عكّا، (أسامة أبو النحل، 2005، ص15-16) وبُنيت في حدود عام 1790م، في عهد الوالي احمد باشا الجزار، وضمّت السرايا مكاتب موظفي الحكم (محمد علي الكحلوت، 2010، ص40-46).

ويوجد لسرايا بوابة فخمة، وبُنيت بأسلوب فنّيّ هندسيّ معماريّ مملوكيّ من نوع الأبلق (Ablaq) امتزج مع فنون العمارة العثمانية، ويشمل مبنى السرايا العثماني في عكا طبقتين، حول ساحة مركزية مرصوفة بالحجارة.

حمام الباشا: (انظر الصورة رقم (11): صفحة ملحق الصور): قام حاكم عكا أحمد باشا الجزّار ببناء "حمّام الباشا" في حدود عام 1781م، (أسامة أبو النحل، 2005، ص15-16) وأطلِق عليه في البداية اسم "الحمّام الجديد"، ليُستبدل الاسم بعد فترة بـ"حمّام الباشا"، تكريماً للجزّار، اعتمد البناء في تصميمه على الطراز المعماري العثماني، سيما فيما يخص شكله الخارجي ومحتواه الداخلي، من "دهاليز"، وغرفة "المشلح" وغرفة "موقد النار"، والفتاحات العلوية، للحمّام غرفة تدفئة تحت الأرض "الموقد"، تمّت تدفئتها بحوض ماء كبير، ومنه كانت تُضخّ أبخرة ماء ساخن إلى الغرفة الساخنة وإلى غرف العلاج في الحمّام(دونالد كواترت، 2004، ص284-285. مروان أبو خلف، 2001، ص128-129. محمد علي الكحلوت، 2010، ص45).

استمر عمل الحمّام منذ نشأته كمُستحَمّ فعّال، بالإضافة إلى وظيفته الدينية الخاصّة، المتمثلة بفرض الطهارة قبل الصلاة، لعب الحمّام دورًا معتبَراً في جميع مجالات الحياة، في المدينة العثمانية(دونالد كواترت، 2004، ص284-285).

وكان بمثابة مكان للقاءات الاجتماعية، للاستراحة، للتنزّه، والاحتفالات؛ وكان مكان مكوث الأطبّاء والحلاّقين؛ كما استُخدم "مكان تدليل أثرياء المدينة (كواترت، 2004، ص284-285. عبد الكريم رافق، 2016، ص820-824 . محمد علي الكحلوت، 2010، ص45 . دونالد).

وتهدّم الحمّام إثر تعرّضه لهزّة أرضية، ليُبنى من جديد في بداية القرن الـ 19م في عهد الوالي عبد الله باشا (دونالد كواترت، 2004، ص284-285. عبد الكريم رافق، 2016، ص820-822 محمد علي الكحلوت، 2010، ص45).

البازار التركيّ (سوق القيسارية): (انظر الصورة رقم (13): صفحة ملحق الصور): بني البازار المسقوف أيّام الجزّار (1801-1775)، (أسامة محمد أبو نحل، 2005، ص15-17) واستُخدم بمثابة سوق بلديّ محلّيّ لصالح سكّان المدينة وزائريها، وكان جزءاً من مركَز الحياة في مدينة عكا، ويقع البازار إلى جانب، الحمّام، السرايا، والجامع، ومن خلاله كان يتلقّى السكّان جميع احتياجاتهم في المدينة من جانب السلطات العثمانية(محمد علي الكحلوت، 2010، ص40-46).

السوق (القيسارية) المغلق: عبارة عن بناء يقع في الجزء الشرقيّ من البازار التركيّ، وكان جزءاً لا يتجزّأ منه، وأُهمِل هذا الجزء من البازار، واستُخدم كممرّ ضيّق ومظلم، وكجزء من أزقّة البلدة القديمة، ومن هنا جاء اسمه "السوق المغلق"، ويتشابه مع نمط الأسواق المملوكية(مروان عبد القادر بكير، 2004، ص54-57. محمد علي الكحلوت، 2010، ص40-46).

برج "الكومندار": (انظر الصورة رقم (20): صفحة ملحق الصور): ويطلق عليه أهل عكا اسم 'برج القائد' وهو برج حراسة خلاّب، ويقع في الزاوية الشّمالية الشرقية من المدينة، وبُني مع ترميم أسوار عكّا بعد حصار نابليون بونابرت 1799م، في عهد الجزار، ويبرز البرج عن خط السور الشرقيّ والشّماليّ، عبر منصّات مدفعية نُصبت عليه، للدفاع عن هذه الأسوار من الهجوم المباشر، وكانت توجد في الطبقة الأرضية مخازن الجيش العثماني (أسامة محمد أبو نحل، 2005، ص17. مروان أبو خلف، 2001، ص172-173).

سبيل الجزار: (أنظر الصورة رقم (19): صفحة ملحق الصور): بني عام 1793م، يقع في الغرب من مدخل جامع الجزار، (أسامة محمد أبو نحل، 2005، ص17) تطل واجهته الحجرية على الشارع، ومن أسمائه: السبيل، وسبيل الطاسات، وجاءت تسميته الأخيرة نسبة إلى الطاسات

المعدنية التي كانت تستخدم اخذ الماء من الأحواض، ويتكون السبيل من حجرة السبيل، وحجرة المزملاتي، والصهريج، ويتخلل حجرة التسبيل الشاذورات، ويتركز على عمود رخامي، ويتكون من حوضين رخاميين، والأرضية مفروشة برخام ملون، وهذا النمط من الاسبلة هو السائد في الأناضول العثماني (مروان أبو خلف، 2001، ص143-144. محمد علي الكحلوت، 2010، ص40-46).

4. سليمان باشا العادل (1805م-1818م):

جامع الميناء: (انظر الصورة رقم (14): صفحة ملحق الصور): قام سليمان باش ببناء جامع الميناء (كان يسمى مسجد سنان باشا)، ويسمى أيضاً في يومنا هذا جامع البحر، وأقيم على يد سليمان سنة 1806م في نفس موقع مسجد سنان باشا القديم، وتم تجديده عام 1816م، ويقع هذا المسجد على شاطئ البحر المتوسط في مدينة عكا شمال فلسطين، وهو إحدى نفائس الفن المعماري العثماني، ويشبه جامع الجزار الذي يقع بالقرب منه، ويتشابه مع جامع الجزار في تصميمه الخارجي والداخلي، وهو مكان الصلاة الإسلاميّ الأول في عكّا، وكان محاذيًا لخان الإفرنج (مروان أبو خلف، 2010، ص37. محمد علي الكحلوت، 2010، ص40-46).

بني وفق الطراز العثماني البسيط، للمسجد ليوان متوسط الاتساع، وفوق مدخله قبة متوسطة العمق والاتساع، وفي شماله عمودان أسطوانيان جميلان، لهما قواعد وتيجان، وله قاعدة واسعة، قطرها سبعة أمتار ونصف، وعمقها ستة أمتار ونصف، وتظهر في زوايا المسجد الركب التي تقف عليها القبة، وفي القبة منبر رخامي مرتفع سبع درجات، وللمسجد مئذنة تقع في الركن الشمالي الغربي، بنيت وفق طراز مئاذن الأناضول التركي، وهي ذات طابع اسطواني تشبه تلك التي وجدت في جامع الجزار (مروان أبو خلف، 2010، ص37)، يشبه مسجد السيدة عائشة بمدينة "أدرنة"، بُني في عام 1468م.

مسجد المجادلة: (انظر الصورة رقم (15): صفحة ملحق الصور): تمّ في عهد سليمان باشا بناء مسجد المجادلة سنة 1810م على يد المملوك علي آغا، الذي شغل موقع نائب سليمان، وكان مسؤولاً عن خزينة الولاية وإدارة شؤون بلاط الباشا سليمان العادل.

يقع المسجد في الجهة الشِّمالية الغربية من المدينة، أمام بيت علي آغا، وإلى الشرق منه، قليلاً. وأضاف علي آغا عام 1810م مئذنة إلى المسجد، ومشتقّ اسم المسجد من اسم قرية المجدَل، التي انتقل الكثير من سكانها إلى السكن في هذا الحيّ من عكّا حين ازدهارها، يقع قريباً من الحي الغربي، ويتميز بمئذنته العالية جداً (مروان أبو خلف، 2001، ص37 . محمد علي الكحلوت، 2010، ص40-46).

منشأة تطهّر ووضوء من الرخام: وتم بناء منشأة تطهّر ووضوء من الرخام عند سفح درج مدخل مسجد المجادلة باتجاه الشارع في عهد حاكم سليمان باشا عام 1814م، وذلك احتفاء بإنهاء بناء قناة المياه – عكّا – الكابري.

قناة المياه (الكابري): (انظر الصورة رقم (16): صفحة ملحق الصور): بنيت عام 1800م، في عهد احمد باشا الجزار، (أسامة أبو النحل، 2005، ص17) لكنها جددت بالكامل في عهد سليمان باشا العادل، وتمر قناة المياه "الكابري" من عكا إلى بلدة البصة، وتمر من قرية المزرعة، يبلغ طول قناة الكابري حوالي 13 كم، ولم يبق قائم منها سوى قطع صغيرة في القسم القريب من مدينة عكا، وأيضاً القطعة المحاذية لأنقاض قرية السميرية المهجرة، ومن المعتقد أن هذا المقطع بالذات كان أعلى نقطة في قناطر الكابري، يمر في وادي منخفض هو أدنى نقطة في مسار القناة(عبد الكريم رافق، 2016، ص719-721. مروان أبو خلف، 2001، ص132-133).

5.عبد الله باشا (1818م- 1832م):

قصر الباشا عبد الله: (انظر الصورة رقم (18): صفحة ملحق الصور): لم تتميز هذه الفترة بشيء من أعمال الإعمار الهامة باستثناء بناء عبد الله باشا لقصره في الكرمل.

ثانياً: نتائج (مقاربات وخاتمة):

تنوعت فنون العمارة التي تزينت بها مدينة عكا في العهد العثماني الوسيط، وتفوقت على تلك الفنون "الطرز" التي شهدتها عكا وعموم المدن الفلسطينية في العهود السابقة، كون عمارتها هي نتاج خبرة ومعرفة أمم عدة تم الاعتماد على معارفها وأطلالها، وكونها اعتمدت على مواد بناء لم تختزل بنوع واحد ولا مخلفات حقبة واحدة، بل استخدمت تلك الأطلال والخرائب كمواد بناء متوفرة وجاهزة إلى جانب المواد المستخدمة في حينه والتي تجود فيها بيئة مدينة عكا وريفها (عبد الكريم رافق، 2016، 730-731).

تم بناء منشآت مدينة عكا القديمة في العهد العثماني في الفترة الواقعة بين أعوام 1600م-1832م، نتيجة ما شهدته من نهضة وانتعاش، جعلها تستوعب نشاط معماري هو الأضخم من حيث العدد والنوع، ودخل إلى عكا خلال تلك الفترة الطرز العثماني السائد في الأناضول إلى جانب البلقان (مروان أبو خلف، 2001، ص30، 37 . عبد الكريم رافق، 2016، ص770-774).

وجمعت عمارة عكا بين الطُرز العثمانية والرومانية والإفرنجية والعربية ذات الطابع التقليدي، فنتج عن هذا التنوع تحف معمارية في غاية الرونق والإبداع (عبد الكريم رافق، 2016، 730-731).

1.كيف تمازجت طرز عمارة عكا بين المحلي والعثماني والإفرنجي والروماني؟

رغم تفوق الطرز المعمارية العثمانية سيما في المنشآت الرسمية التي تتبع للحكومة العثمانية، إلا أن هذه الأبنية احتوت في إحدى مكوناتها على الطراز الروماني، سيما نتيجة الاعتماد على أعمدة "الرخام"، وهي بمثابة دعامات صلبة تتوسط تلك المنشآت، وتحافظ على تماسكها، وهي أعمدة جاهزة تم جلبها من بقايا المباني الرومانية القديمة التي أصبحت خرائب أو شبه أطلال، تواجدت في جوار عكا والساحل الفلسطيني، وتم جلب جزء منها من مدينة قيسارية الواقعة في وسط الساحل الفلسطيني (مروان أبو خلف، 2001، ص37. احمد عبد الواحد ذنون، 2010، ص2-3. عبد الكريم رافق، 2016، 742).

ونقلت حجارة بعض القلاع والكنائس الإفرنجية المهجورة والمدمرة بعد جلاء الاحتلال الإفرنجي عام 1292م عن عكا وسائر الساحل الفلسطيني، وهي حجارة تشبه طراز حجارة القراع الأوروبية في العصور الوسطى، نقل الإفرنج بعضها من الخرائب الرومانية المجاورة لعكا بين أعوام 1095م-1292م، وتم قطع أخرى من "مقالع" الحجار القريبة في جبال الكرمل، واستغلت في بناء المنشآت الإفرنجية في الساحل الفلسطيني (عبد الكريم رافق، 2016، ص 732-742).

تمثل بقايا المنشآت الإفرنجية قواعد وأساسات العديد من المباني العثمانية الحديثة التي بنيت بين أعوام 1600م-1832م، وتشمل في بعض الأحيان على "قبو" يقع أسفل البناء، يعود تاريخه إلى حقبة الاستعمار الإفرنجي، بينما اعتبرت الطوابق العُلوية حديثة تنتسب للحقبة العثمانية الوسيطة (عبد الكريم رافق، 2016، ص770-777 . أسامة محمد أبو نحل، 2005، ص7-8).

تم الاعتماد على جزء من أنماط التحصينات العسكرية ذات الطابع الإفرنجي أثناء بناء المنشآت العثمانية، سيما الجزء العلوي من تلك المنشآت الأشبه بقلاع دائرية أو مربعة، تحتوي على فتحات يتاح من خلالها ضرب النبال صوب الأعداء، وأخذ شكل سور عكا ذات مميزات البناء الإفرنجي في بعض تكويناته.

وشملت هذه المنشآت على أنماط "الطراز" المحلي، سيما في بناء العقود والمداميج (مداميك)، والبتات والرجة (الركه)، رغم وجود روايات مختلفة حول أصولها، وهل هي فرنجية أم عربية؟، إلا أنه يوجد إجماع حول كونها ضمن الطرز المحلي.

وكان يضاف إليها حجارة البناء المحلية الغير متناسقة في بعض الأحيان، بحيث يتم تكسيرها بواسطة أدوات معدنية صلبة، وهي من بقايا الحجار المتناثرة في الأراضي، وكان يتم بناءها بالاعتماد على مادة من أنواع الترب يتم خلطها، وتوضع بين الحجارة، وتسهم في تقوية البناء، وتتكون من الجير والتربة الحمراء والحور والقش والماء والرماد، تسهم في تماسك البناء، ويتم من خلالها إغلاق الفتحات الموجودة بين الحجارة، ويعد هذا الطراز المعماري جزء أصيل من طرز البناء العربية، وكان يدخل في بناء تلك المنشآت الأخشاب الدائرية أو المربعة الصلبة، بهدف ربط السقوف وتدعيمها(عبد الكريم رافق، 2016، 770-777. مروان أبو خلف، 2001، ص37).

تأثرت عمارة عكا بالطرز المعماري العثماني، سيما الأناضولي في الأجزاء العلوية والخارجية منها، واعتمد عليه في وضع حلول تعيد ترتيب شكل السقوف والعقود والقباب، كون الأنماط المحلية بسيطة نسبياً، ولا تراعي الشكل الجمالي عند بناء سقوف العقود، ووصفت سطوح تلك المنشآت المحلية بالغير متجانس، وأطلق عليها أسماء عدة، منها الجملوني والنصف دائري، وانعكس ذلك على جماليات البناء المحلي التقليدي بشكل سلبي، سيما من الخارج والداخل، واحتلت جزء من حيز البناء (مروان أبو خلف، 2001، ص30-37. احمد عبد الواحد ذنون، 2010، ص5).

أبدعت الفنون المعمارية العثمانية في مجال بناء القباب الاسطوانية نصف الدائرية بشكل متناسق وجميل، أسهم في منح البناء رهبة ورونق وجمال مميز، وأسهمت في ذلك الأروقة، هذا إلى جانب طراز المئذنة العثمانية المدببة والمخروطية الشكل، ذات المشربيات في الجزء العلوي، والفتحات وعتبات الدرج الدائرية، مما أضاف للمساجد شكل مميز تمازج مع المحلي والعالمي(مروان أبو خلف، معالم الحضارة الاسلامية في فلسطين، ص30-37).

2. لماذا تميزت عكا بعمارتها في عهد ظاهر العمر الزيداني واحمد باشا الجزار عن غيرهما؟

لم تحتل عكا تلك الأهمية في عهد فخر الدين المعني الثاني (1572م-1635م)، (إبراهيم احمد الشياب، 2011، ص525) ولا في عهد زعامات أسرته السابقين (1120م-1635م)، نتيجة اتخاذه منطقة لبنان عموماً والشوف مركزاً له، ونتيجة ارتباطه الجهوي والاجتماعي والقبائلي والطائفي بمناطق تقع ضمن حدود لبنان الحالية وجنوب سوريا، مما أثر على أوضاع فلسطين التي اتخذها مصادراً لجمع الضرائب من الأهالي، دون أن يطورها أو يهتم بعمارتها وبجوانبها الاجتماعية والثقافية (عبد الكريم رافق، 2016، 730-731، 770-777. إبراهيم احمد الشياب، 2011، ص525-526).

لم تتطور مدينة عكا في عهد فخر الدين المعني الثاني، وبقيت قرية يرتادها الصيادين، ولم تتخذ مركزاً للحكم أو الإدارة، ولم يسهم المعني في بناء أياً من معالم حضارتها سوى إعادة افتتاح ثلاث كنائس كانت قد تهالكت منذ الغزو الإفرنجي (1095م-1291م) (إبراهيم احمد الشياب، 2011، ص525-526).

عاش آل الزيداني في منطقة الجليل الفلسطيني، واسهم ذلك في تعزيز اهتمام هذه العائلة الإقطاعية -زعامات محلية- بمدن شمال فلسطين، بما فيها مدينة عكا، سيما بعد الدور الإداري والسياسي الذي لعبه بعض أفراد هذه الأسرة في إدارة أقاليم الدولة العثمانية مترامية الأطراف خارج فلسطين وداخلها، مما منحهم صفة رسمية، بمعنى لم يتولى أفراد هذه العائلة مناصبهم الإدارية داخل الدولة نتيجة البعد الجهوي والطائفي والوراثي، كما هو حال فخر الدين المعني

الثاني، بل ذاع سيط أسرة الزيداني نتيجة تولي أفرادها وظائف عدة في سلك الدولة العثمانية، إذاً، نحن نتحدث عن شكل جديد من رجال الدول، أخذ طابع العمل الرسمي والزعامات المحلية(عبود الصباغ، 1999، ص20).

لمع دور ظاهر العمر الزيداني(1695م-1775م)، حينما تولى إدارة منطقة عرابة البطوف في الجليل وجوارها، وتوسع الشيخ الزيداني ليضم إلى سلطته طبريا وصفد وعكا والناصرة، واتخذ عكا مركزاً لحكمه (عبود الصباغ، 1999، ص37،25).

احتلت عكا مكانتها التجارية والإدارية لأول مرة في عهد ظاهر العمر الزيداني عام 1705م، وتحولت إلى مركز للتجارة المحلية والدولية، وربطها الظاهر عمر بالعالم عبر توسيع وتطوير ميناء المدينة، وتنظيم جباية الضرائب، وضبط تمرد الجوار، وتأديب البدو، وتعزيز الأمن والاستقرار ضمن مناطقه، وتشكيل قوة عسكرية، واستمراره في توسيع نفوذه في جنين وجبال نابلس والساحل الفلسطيني حتى رفح، وارتبط بعلاقات تجارية مميزة مع بلدان أوروبا، مما جعل من عكا عاصمة إدارية تشمل سلطتها فلسطين وأجزاء واسعة من شمال الأردن وشرق سوريا وجنوب لبنان (عبد الكريم رافق، 2016، 730-731. عبود الصباغ، 1999، ص37).

تحركت الحياة العامة في عكا خلال عهد ظاهر العمر الزيداني، وارتادها الناس والتجار، وهاجر إليها الكثير، ونشطت فيها حركة المعمار، سيما المؤسسات الحكومية والدينية والخدماتية التي بناها الشيخ الزيداني خلال فترة حكمه، وهي كثيرة، ولربما لا تقل عن تلك التي بناها خليفته احمد باشا الجزار(1734م-1804م)(عبد الكريم رافق، 2016، 730-731. أسامة محمد أبو نحل، 2005، ص1-2).

تميز الجزار عن خليفته ظاهر العمر الزيداني بنسق شخصيته العسكرية وإخلاصه لدولته العثمانية، وتنقله في الخدمة الرسمية في أكثر من موقع ومكان، فمنحه ذلك خبرة وشخصية ودراية بطبائع الناس، وزاد من ذلك ارتباطه بشخصيات بلاط الحكم في الأستانة، إلى جانب امتلاكه جيش نظامي ومسلح بشكل جيد تحت إمرته، ولم يتقلد السلطة وفق نمط الوراثة الذي اعتادت عليه الزعامات المحلية في فلسطين، ونظم الضرائب والبريد والتجارة والخدمات العامة، وازداد عدد سكان عكا في عهده بشكل ملحوظ، سيما بعد انتصاره على الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت عام 1799م، (أسامة محمد أبو نحل، الحياة الثقافية في فلسطين ولبنان في عهد احمد باشا الجزار 1775-1804م، ص15) فعايشت فترته استقرار امني وسياسي يفوق تلك الفترة التي عايشتها خلال عهد ظاهر العمر الزيداني(أسامة محمد أبو نحل، 2005، ص7-8. عبد الكريم رافق، 2016، 730-731).

لم يكتفي الجزار بما بناه الزيداني من منشآت عمرانية في عكا، بل أعاد ترميمها وتطويرها، وقام ببناء منشآت جديدة وهامة، اعتمدت على طرز معماري مغاير.

وصفت المباني التي أسسها الزيداني بأنها قريبة نسبياً للطراز العربي المحلي، (عبد الكريم رافق، 2016، 769-776) نتيجة أصوله العربية وعدم احتكاكه ببيئات الأناضول التركي بما يكفي، بينما اعتمد الجزار بشكل أكبر على فنون المعمار الأناضولي والبلقاني نتيجة أصوله البلقانية، وجلب منها مختصين في مجال العمارة، واشرف هو بنفسه على عمارتها، وفي عهده امتزجت فنون العمارة المختلفة، سيما العربية والعثمانية في نسق جديد ومميز، وشمل الخانات والمساجد والأسبلة والأسواق والمدارس والسرايا والقلعة والأسوار والميناء والسجن (أسامة محمد أبو نحل، الحياة الثقافية في فلسطين ولبنان في عهد احمد باشا الجزار 1775-1804م، ص17-18).

خاتمة:

لم تهتم دولة المماليك بعمارة ساحل فلسطين بما فيه مدينة عكا، وانشغلت بمعارك تحرير فلسطين من الغزو الإفرنجي بين أعوام 1260م-1295م، واستمر هذا الحال بعد تحرير مدينة عكا والساحل الفلسطيني من الاحتلال الإفرنجي عام 1292م، وذلك نتيجة خشية ولاتها من عودة الحملات الإفرنجية مجدداً، والاحتماء ببعض قلاعها وحصونها عند ترميمها، لذلك تُركت شبه أطلال حتى يسهل استعادتها في حال سيطر عليها الغزاة.

واستمرت مدينة عكا على هذا الحال من الإهمال حتى تاريخ الحكم العثماني عام 1516م، لكنها ليست البداية الحقيقية لمشهد ازدهار عكا، وانشغل ولاة الدولة العثمانية بضبط الأمن وتطوير مرافق المدن الرئيسية في الداخل بين أعوام 1516-1620م.

ومنذ بداية عهد والي عكا وصيدا فخر الدين المعني الثاني سيما في الفترة الواقعة بين أعوام 1620م-1666م اهتم بعمارة المرافق الدينية المسيحية في مدينة عكا نتيجة سياسة التسامح الديني التي تبناها فخر الدين المعني الثاني، وسمح للرهبان العرب ورهبان الإفرنج إعادة ترميم الكنائس المتروكة منذ عام 1292م، وكنت عبارة عن أطلال مهجورة.

بينما وصفت فترة ظاهر العمر الزيداني بأنها فترة انتعاش حقيقي شهدتها عكا، سيما منذ عام 1705م، واستمر هذا الازدهار والتطوير خلال فترة احمد باشا الجزار الواقعة بين أعوام 1775م-1805م، وكانت بمثابة العصر الذهبي الذي شهدته عكا على صعيد الاقتصاد والعمران.

امتزجت في عكا أنماط الفن المعماري العربي المحلي مع العثماني الطراز، عبر الاعتماد على أطلال ومخلفات العمارة الرومانية والإفرنجية.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم احمد الشياب(2011)، جيش الإمارة المعنية في عهد فخر الدين المعني الثاني، دراسات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، م38، ع2.
2. احمد عبد الواحد ذنون(2010)، السمات المحلية في العمارة الإسلامية، قسم العمارة جامعة الموصل، المجلة العراقية، العراق، ع20، http://www.uotechnology.edu.iq/dep-20-19architecture/IraqiArchMagazine/issues -architecture.pdf20%Islamic20%the20%in20%features20%local20%/The21
3. أسامة محمد أبو نحل(2005)، الحياة الثقافية في فلسطين ولبنان في عهد احمد باشا الجزار 1775-1804م، جامعة الأزهر، قسم التاريخ، غزة، 1426ه، http://lib nahil.pdf20%/abo2030%.qsm.ac.il/articles/alaswar/no.1
4. ثائرة بليبلة(2010)، قراءة معمارية في السجلات العثمانية للمحكمة الشرعية في نابلس، جامعة النجاح، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، نابلس - فلسطين. https://scholar.najah.edu/sites/default/files/all-thesis/architectural_reading_of_the_ottoman.pdf
5. دونالد كواترت(2004)، الدولة العثماني 1700م-1922م، تعريب أيمن الأرمنازي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض.https://www .4shared.com/get/qRSCj4_23__/iba1700-1922html__.
6. عبد السلام البسيوني، (2014)، مدهشات من الدولة العلية العثمانية ومساجدها، http://www.islamsyria.com/portal/uploads/CMS/maktabah/mudhashat.pdf
7. عبد الكريم رافق(2016)، فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن السادس عشر الميلادي إلى القرن التاسع عشر الميلادي، عدد المجلدات2، مستل من الموسوعة الفلسطينية . https://archive.org/details/pal.othmani
8. عبود الصباغ(1999)، الروض الزاهر في تاريخ ظاهر، (مخطوط)، ط1، تحقيق عبد الكريم محافظة، مؤسسة حمادة أربد - الأردن، تحقيق عبد الكريم محافظة وعصام هزايمة، http://www.creativity.ps/data/library/1243391766321929.pdf.

9. قسطنطين بازيلي(2016)، سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحية السياسية والتاريخية، ترجمة يسر جابر، الشرق الأوسط .
%88%9D%3B%8advw/%D0q588xz839http://www.mediafire.com/download/f7B%8D%3B%8D%84%9D%81%9D%88%9_%D9A%8A%D8%9D%1B%8D%8D%85%9AB%D%8D%9B%8D%84%9D%7A%8_%D86%9A%D8%9D%A.pdf8%9D%86%9D%7A
10.محمد احمد عبد الرحمن(2016)، المؤتمر الدولي الثاني، للجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، ملخصات أبحاث، المنعقد خلال الفترة من 26:29 أكتوبر 2016م/ 1438ه في مدينة الأقصر – جمهورية مصر العربية (بحث محمد احمد عبد الرحمن، العمائر المشيدة على الطرز التقليدية في القاهرة في القرنين 13ه و14ه).
11.محمد علي الكحلوت(2010)، التراث المعماري العثماني في فلسطين- مدينة عكا كدراسة حالة.
12.مروان أبو خلف(2001)، معالم الحضارة الإسلامية في فلسطين، المعهد العالي للآثار الإسلامية – جامعة القدس - فلسطين، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة اسيسكو 1422ه/ 2001م، مطبعة بني أرتاسن-المملكة المغربية، https://www.isesco.org.ma/ar/wp-content/uploads/sites/3/2015/05/Hadara-palestine.pdf/
13.مروان عبد القادر بكير(2004)، المدينة الفلسطينية في العهد المملوكي، المشرف على رسالة الماجستير محسن يوسف، نوقشت في جامعة بيرزيت – فلسطين.
14.نعمة بن قاري(2017)، عمارة المساجد وتوجهاتها المعاصرة، مجلة المدينة، ع3، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان، https://www.researchgate.net/profile/Naima_Benkari/publication/321026833/almsajd-57020eab65fdcc6da6d096a5_almsajd_mart_almasrt_wtwjhatha/links/mart-almasrt-wtwjhatha.pdf

ملحق الصور:

صورة رقم (1): (كنيسة القدّيس فرانشسكو (فرانشسكنيت)

صورة رقم (2): خان الشواردة

صورة رقم (3): خان الشونة

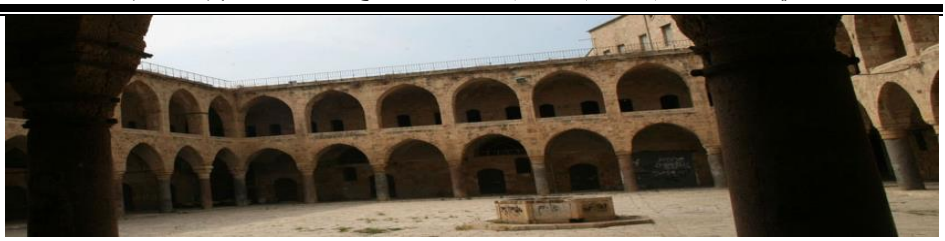

صورة رقم (4): خان الإفرنج

صورة رقم (5): ميناء عكا

الصورة رقم (6): مسجد الزيتونة

الصورة رقم (7): مسجد ظاهر العمر الزيداني

الصورة رقم (8): كنيسة سانت جون (فرانشسكنيت)

الصورة رقم (9): خان العمدان

الصورة رقم (10): السرايا العثماني (قصر الحكم في عكا)

الصورة رقم (11): حمام الباشا

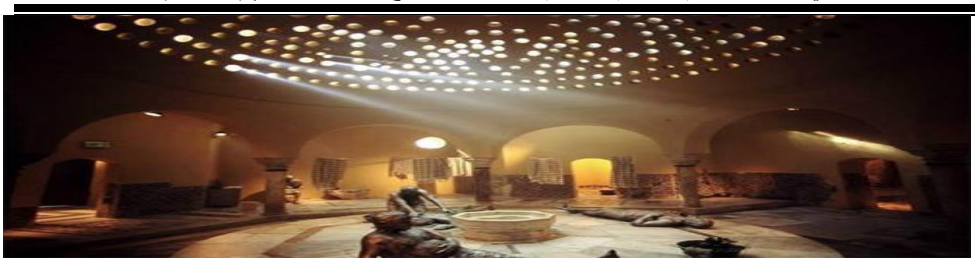

الصورة رقم (12): قصور فندق الأفندي

الصورة رقم (13): البازار التركي

الصورة رقم (14): جامع الميناء

الصورة رقم (15): مسجد المجادلة

الصورة رقم (16) قناة المياه الكابري

الصورة رقم (17): قصر عبد الله باشا، ويظهر في الصورة فنار عكا "المنارة".

صورة رقم (18): مسجد الجزار في عكا، و صورة رقم (19): سبيل جامع الجزار.

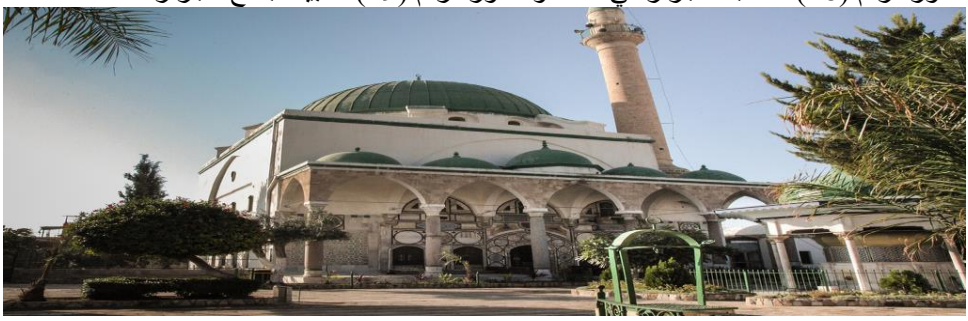

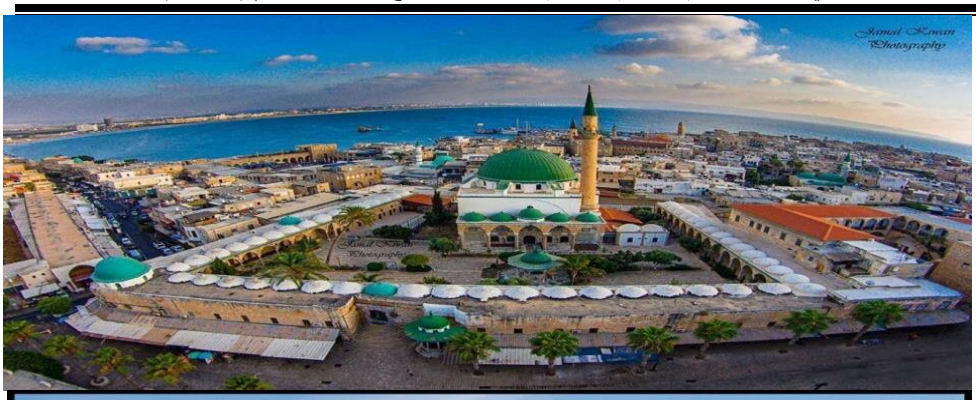

سبيل الجزار:

صورة رقم (20): أسوار عكا

صورة رقم (21): ميناء عكا وفنار عكا (المنارة)